

**دلالة التوحيد
في قصة
عيسى عليه السلام**



أ.د / أحمد عبد الله الطيار

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

تمهيد ومداخل

مظاهر وحدانية الله - سبحانه - ترى أمام الأعين أثناء الليل وأطراف النهار والوجود كله شاهد صدق على هذه الحقيقة .. ولا يمارى في هذا إلا إنسان أظلمت نفسه وقسا قلبه فلا ينفذ إليه حق ولا يزعم له ..

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

والقرآن الكريم في عرضه لقصة عيسى - عليه السلام - يوضح هذه الحقيقة حيث يبين أن خلقه - أي عيسى - عليه السلام - فريد ، فقد جاء عن طريق نفخ الروح في أمه الطاهرة العفيفة المتبلة .

قال الله تعالى « ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » (١)

وهذا على غير عادة الناس في التوالد الطبيعي ، والتناسل البشري ، ومن هنا فإن نبي الله - عيسى عليه السلام - ليس له أب من البشر ، وهذا أمر خارق للعادة ،

وقد جعله الله تعالى هو وأمه آية .

قال الله تعالى « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأوينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » (٢) ودلائل التوحيد في قصة هذا النبي الكريم كثيرة ..

فمنذ أن حملت به أمه الطاهرة وحتى رفعه الله سبحانه وتعالى الدلائل

(١) الآية ١٢ سورة التحريم .

(٢) الآية ٥٠ سورة المؤمنون

وتظهر الخوارق التي تتخذ باللب .

وهذه الدلائل سنتحدث عنها من خلال عرض القرآن الكريم لحياة المسيح عليه السلام -

قال الله تعالى «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر إلى يؤفكون» (١)

نسب عيسى عليه السلام ،

ذكر القرآن الكريم نسب نبي الله عيسى - عليه السلام - بأنه المسيح عيسى بن مريم وهو آخر أنبياء بني إسرائيل .. اسمه "عيسى" ولقبه "المسيح" ويكنى «ابن مريم» نسبة إلى أمه مريم ابنة عمران لأنه عليه السلام ولد من غير أب .

وهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة وروح منه وهذا النسب الزكي ذكره الحق سبحانه في قوله «إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين» (٢)

وهذا الاسم أوحى الله به لأمه مريم قبل أن يولد - عليه السلام - وهذه التسمية جاءت في القرآن الكريم في أكثر من موضع .

وجاءت هذه التسمية أيضا - بالكنية - في حديث رسول الله - صلى الله

(١) الآية ٧٥ سورة المائدة

(٢) الآية ٥٤ سورة آل عمران

عليه وسلم - في صحيح البخاري عن ابن عباس سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « لَا تُطْرُونِي كَمَا أُطِرْتُ النَّصَارَى عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » (١)

وعلى هذا فما ذكره القرآن العظيم وأخبر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو النسب الحقيقي لنبي الله عيسى - عليه السلام .

على عكس الأناجيل التي ذكرت أنساباً كثيرة مختلفة وليس نسباً واحداً . فعلى سبيل المثال نجد في إنجيل لوقا .

« هو يسوع بن يوسف النجار بن هالي بن لاوي بن ملكي .. إلى أن ينتهي النسب إلى يهوذا ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام . وفي إنجيل متى :

هو يسوع بن يوسف النجار بن يعقوب بن متان إلى أن ينتهي إلى يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام .

فإنجيل لوقا يقول : إن يوسف بن هالي .

وإنجيل متى يقول : إن يوسف بن يعقوب .

وإنجيل لوقا يقول : إنه من أولاد فاثان بن داود .

وإنجيل متى يقول : إنه من أولاد سليمان بن داود .

وإنجيل لوقا يقول : إن آباء المسيح غير سلاطين وغير مشهورين .

(١) البخاري ٢ / ١٢٥ .

وإنجيل متى يقول : إن آباء المسيح سلاطين مشهورون .
 وفي إنجيل لوقا أن بين داود والمسيح واحد وأربعين جيلا .
 وفي إنجيل متى إن بين داود والمسيح ستة عشر جيلا . (١)
 وأمام هذا الاختلاف الشديد بين الأناجيل في نسب المسيح يقف الإنسان حائرا .. فلا يدري كيف يوفق بين هذا التناقض العجيب في كتاب يُسميه أصحابه مقدسا ويؤمنون به .
 ولا ندري من أين اكتسبت هذه القداسة .. وهذا التناقض الواضح من أوضاع الدلائل وأصدق البراهين على أن هذا كله تحريف ولا أساس له .
 ولا أدل على ذلك مما جاء في كتبهم .

في الفقرة السابعة عشر من الإصحاح الأول من إنجيل متى ما نصه :
 «فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا ، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا»

فنسب المسيح من خلال هذا النص يشتمل على ثلاثة مراحل كل منها مشتمل على أربعة عشر جيلا وهذا غلط صريح .
 لقد وقع التحريف بكل صوره - التبديل والزيادة والنقصان - في هذه الكتب. (٢)

(١) النبوة والأنبياء . محمد علي الصابوني ص ١٨٧ ، ١٨٨

(٢) يراجع هذا بالتفصيل في كتاب «إظهار الحق» للشيخ رحمة الله الهندي من ص ١٠٦ - ٢١٢

ومن ثم فإن ما تثبته عن المسيح عليه السلام كله محض افتراء وبهتان وصدق الله العظيم « من الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون - يا أهل الكتاب قد جائكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جائكم من الله نور وكتاب مبين» (١)

ولا أريد أن استقصى هذه الأكاذيب .. ولكن حسبي أن ألج فيما قصدت من بيان دلائل التوحيد في قصة عبد الله ورسوله وكلمته سيدنا عيسى - عليه السلام -

مهتديا في ذلك بنور القرآن الهادي الذي لا يخبو أبدا فهو الحق الذي لا مرية فيه «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين»

مريم الطاهرة ومعجزة الميلاد

السيدة الطاهرة من نسل داود عليه السلام ، وكان أبوها عمران صاحب صلاة بنى إسرائيل في زمانه ، وكانت أمها من العابدات ، وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم .. وقيل زوج خالتها .

وكانت أم مريم - كما يذكر ابن اسحاق وغيره - لا تحمل .. فنذرت إن حملت لتجعلن ولدها محرراً أي حبيسا في بيت المقدس .. فحملت بمريم عليها السلام « فلما وضعتها قالت رب إنني وضعتها أنثى والله أعلم

(١) الأياتان ٢٤ ، ٢٥ سورة المائدة

بما وضعت وليس الذكر كالأنثى» (١)

أى فى خدمة بيت المقدس ، وكانوا فى ذلك الزمان ينفذون لبيت المقدس
خداما من أولادهم .

وقولها كما ذكر القرآن الكريم « وإنى سميتها مريم

وإنى أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» (٢) قد استجيب لها فى هذا
كما تقبل منها نذرها .

روى الإمام أحمد عن أبى هريرة أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال
" ما من مولود إلا والشيطان يمسّه حين يُولد فيستهل صارخا من مس
الشيطان إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم «وإنى
أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»

وعن أبى هريرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال «كل مولود من
بنى آدم يمسّه الشيطان بإصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى» (٣)
ونقف أمام هذا الحديث المعجز من ناحيتين .

الأولى : تمنى أم مريم الولد بعد طول اليأس فقد كانت لا تحمل ويتحقق
لها ما تحب - وهذا أمر خارق للعادة .

الثانية : استجابة دعائها « وإنى أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» .

(١) الآية ٣٦ سورة آل عمران

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ٢ / ١١٥ ، ١١٦

(٣) مسند للإمام أحمد ١ / ٢٨٨

ولكن قالوا : معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله ، وزعموا أن نفوس المعتندين لمذهب الإسماعيلية ، تبقى أبد الدهر في النار ، على معنى أنها تبقى في العالم الجسماني فتتسلخها الأبدان ، فلا تزال تتعرض فيه إلى الآلام والأسقام ، فلا تغلبي جسداً إلا وتلقاها آخر^(١).

ومن هذا النص يتضح أن الإسماعيلية تقول بـالتناسخ ، وتكرر البعث والجنة والنار بمعنى أن الروح بعد موت الجسد التي كانت فيه تنتقل إلى جسد آخر ، وهذا الجسد الجديد يكون حسب المصالح من حيث اللعيب أو الجحيم .

ونظرية الدور - التي ذكرت فيما سبق تبين بكل وضوح عقيدة الإسماعيلية في التناسخ ، فالإسماعيلية تؤمن بوجود دورات متعاقبة لهذا العالم ، في كل دور نبي ناطق ووصي وأئمة ستة ، فإذا جاء السابع ، افتتح دوراً جديداً ، وصار نبياً ، وعلى هذا الأساس آمنوا أن الأنبياء والأئمة خلفوا من نور العقل الكلي (خالق هذا العالم على حد زعمهم) ، وأن هذا النور يتسلل بالأنبياء والأئمة في كل الأعمار ، حتى أنهم اعتبروا أن آدم هو نوح ، ونوح هو موسى ، وعيسى هو محمد ﷺ وهكذا .^(٢)

ومن هنا نستنتج أن هذا المعتقد يقوم على التناسخ ، فقد جعلت الأنبياء شخصاً واحداً ، وكذلك الأئمة يظهرون في كل دور بنفس ظهورهم في الدور الذي سبقه ، أي بمعنى آخر تلقى أجسامهم وتبقى أرواحهم تتعاقب على أجسام أخرى ، وهذا بعينه مذهب الفتنسوخ .

وأرواح المؤمنين عند الإسماعيلية عندما تموت وتمتزج بالبيكل النوراني تعود بعدها إلى الأرض بأجسام أخرى ، وتدخل الدعوة من جديد إلى أن تصل إلى مرتبتها فيها قبل موتها .

١ - الغزالي ، فضائح الباطنية ص ٤٤ - ٤٦ .

٢ - د. الخطيب للحركات الباطنية ، ١١٢ .

الإسماعيلية أصولها وعقائدها وطوائفها المعاصرة أ.د. / ممدوح أحمد الفيّاشى (١٠)

أما أرواح المعاندين ، فتدخل في أدوار متكررة من العذاب تتقمص في كل دور سبعين قميصا ، فقد تأتي بصورة البشر الذين لا يصلحون للمخاطبة ، أو تأتي بصورة الحيوانات ، أو بصورة النبات ، أو تظهر الروح في داخل المعدن والحجر^(١) وأولته الإسماعيلية القبيحة ، على أن قيلم النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية ولآلات الجسدانية ، بظهور صاحب الزمان^(٢)

وجنة النعيم هي عالم العظم ودرجاتها هي مراتب العلوم ، وأما لذات فهي جولات النفوس في قضاء معرجها وابتهاجها عند الحصول في مشاهدتها ومواقعها^(٣)

وعلى هذا فإن نعيم الجنة ولذاتها عند الإسماعيليين إنما هي لذات معنوية وليست حسية وتبعاً لذلك فإن الإسماعيليين ينكرون الجنة والنار ، ولا يؤمنون بهما فاللذة الحسية عندهم فانية غير باقية ، لأن ما هو حسي متغير فاسد^(٤) وللعذاب الحسي كذلك لا يقع على المعاند ، وإنما يكون عن طريق التناسخ التي تتلاقح على نفس أو روح المعاند ، فهي برازخ للمعاند حتى يتخلص من عناده^(٥)

ومما يذكر أن جذور عقيدة التناسخ تعود إلى جملته معتقدات كانت قبل الإسلام فالهندوسية تقول بتناسخ الأرواح ، وكذلك مذاهب الفلاسفة اليونان القدماء مثل سقراط وأفلاطون وغيرهم ، وذهب المانوية (وهي إحدى ديانات فارس) إلى التناسخ أيضا ، ويبدو أن الديانات الشرقية الوضعية في غالبها تقسوم على عقيدة التناسخ ، وأن الإسماعيلية عرفت تلك الفكرة منهم (٦)

١- أديان وخرق ص ١١٩

٢- عارف نامر ، أربع رسائل تعليمية ص ٦٨، ٦٩

٣- المصدر السابق ص ٧

٤- تاج العقائد ومعدن الفوائد نقلا عن كتاب أديان وخرق ص ١١٩

٥- العاصمي ، كنز الولد نقلا عن كتاب أديان وخرق ص ١١٩

٦- أنظر كتاب أديان وخرق ص ١٥٠

٣ . أشهر رجال الاسماعيلية

الإسماعيلية الصوفية وعقائدها وظروفها المعاصرة أ.د. محمود أحمد العياشي (٤)

يسماعيل بن جعفر الصادق محمد بن إسماعيل الهاشمي، عرسني، أحد بطانة
انفاطعيني، وزنه ينقسم إلى سبع عشرة سنة، وهي فرقة من فرق الشيعة في الأصل،
ومعبرت عن الأئمة عشرة من مائة من مائة بعد آية الله، وقد توفي في حياة أبيه
سنة (١٤٣ هـ - ٧٦ م) وبمرت الإسماعيلية في القرون بحدوثه أو موته فرقاً
كثيرة (١)

٢ - محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق الحسيني لطيفي الهاشمي الملقب
بديكوم، وهو أحد فروع الإسماعيلية (أول الأئمة السبعين) ولد في القرون من والده
كما برع الإسماعيلية ود بأخيه وأخيه في بغداد وبقا ذهب إلى بلاد
الروم، ويسمونه سابع الأئمة وقد قدم بالإمامة بعد وفاة أبيه (أو أخيه) سنة
١٣٨ هـ (٢)

٣ - مهدي بن محمد عبد الله المدعي أنه عيسى وطلب بالشهد، بن المهدي ومات
سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة من الهجرة وعمره ثلاث وستون واختلف في نسبه
كثيراً (٣)

٤ - نازم بن محمد بن عبد الله المهدي تولى الأمر بعد والده
وحقق موته سنة إحدى مائة من الهجرة وكان مثله والده عيسى بن شجاعاً توفي
سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة (٤)

٥ - اسماعيل بن منصور أبو مؤلف اسماعيل بن نازم بن محمد بن عبيد الله
المهدي صاحب دعوى كان عدواً شجاعاً لمؤلف عهد بالأمر بعده في المعر
الطوسي توفي سنة إحدى ومائة وثلاثمائة من الهجرة.

٦ - المعز بن طوسي بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله أو بن محمد
المدعي بقاء طوسي صاحب دعوى النصرانية وابن من حاكم من انفاطعيني، وكان
قبل ذلك من بلاد عرقه وف والام من بلاد المعر، ادعى الانصاف وبعض

١ - انظر الأعلام ٣ والإسماعيلية تاريخ وعقائدها ٦٠٠ وما بعدها و انظر جامع الفرق بعد عبد الله الإسماعيلية من ٨٠٧
(٢) انظر الأعلام ٣٤٦/١ انظر الإسماعيلية تاريخ وعقائدها من ٧٩ وما بعدها
(٣) انظر الهندية والنهاية ١٩١/١ إلى ١٩٢ وانظر خلاصة الثلاث والسبعين فرقة ٩
و انظر البداية والنهاية ٢٣٧/١، وألبان بداية تاريخ وعقائدها من ١٩١ وما بعدها
(٤) انظر البداية والنهاية ١٩١/١، والإسماعيلية تاريخ وعقائدها من ٧٩ وما بعدها

لا سيما على ضوء هذه الحقائق وطوائفها المعاصرة

٤ - أهم فرق الاسماعيلية المعاصرة

١ - الشرور

تعريفهم .

وهم أتباع محمد اسماعيل الدرزي الذي قال بالوهمية للحاكم بأمر الله العبيدي سمو، بهذا الاسم لسميه إليه .
وهم يسمون أنفسهم " بالموحدين " .

نشأتهم :

هذه الطائفة أنبثت من الاسماعيلية ، وظهرت في عهد الحاكم العبيدي الحاكم بأمره الذي ادعى الكوهمية فأنبأه محمد بن اسماعيل الدرزي (١) .

وقال بالوهميته وذهب إلى بلاد الشام يدعو إلى تاليه الحاكم وركز دعوته في وسط اليهود والنصرى فقتلوه كثير منهم وكانوا يقصدون من وراء ذلك العمل على هدم الإسلام .

عقيدتهم :

قامت عقيدتهم على مهملات الاسماعيلية وراث عليها بعض العقائد التي مورثهم كالقول بالوهمية الحاكم بأمر الله وبرجسته في آخر الزمان وقد قام الدرزي في العصر للحاصر بطبعة ما يسمى بـ " مصحف الشرور " أو " المطرود بداته " والذي حاول كاتبه أن يحاكي القرآن العظيم ، فكان محاولة مسيئة الكذاب وحاوون أن يسميه إلى بعض المعتهم القدامى وانكشف ببعض ما ورد في من ألقاظ عصره وظهر في هذه الكتب التأكيد على عقيدتهم الأساسية وهي تاليه الحاكم

١ - جاء إلى مصر سنة ٨ هـ وبخل في خدمه للحاكم بأمره وكان أول من أعلن الودية تلك للحاكم فمجلون وقد هلك سنة ١٤١٩ هـ
(٦١١)

موطن الدروز

مستوطر الدروز بعمان ولبليس ، ومرتفعات جبن حوران ، الذي سمي باسم " جبل الدروز " (١١).

٢ - البهرة

تعريفهم :

البهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر وأطلق على هذه الفرقة من الاسم عينية البهرة لأن أول من معسقى هذه الفرقة من التجار كما سيأتي في شأنهم

شأنهم

وأساس شأنهم من بعض أتباع الاسماعيلية من تجر اليمن كلوا يذهبون إلى الهند بقصد المجردة مع ذهب من الوثنيين وغيرهم ، فكان هؤلاء الاسماعيليون بالدعوة إلى دينهم فأجابهم بعض أهل الهند إلى ذلك وكان معظمهم من التجار فعرفوا بالبهرة

فرق البهرة

انقسمت طائفة البهرة إلى فرقتين :

البهرة الداودية ومركزهم في الهند وباكستان وامامهم يعق في يميناى

٢ والبهرة الصليمانية ومركزهم في اليمن الجنوبي

عقيدتهم

عقيدتهم الاسمية هي القول بالوهمية أنهمهم .

انظر كتاب عقيدة الدروز عرض ومقدّم محمد الحطيط كدبك فطر حركات
الباطنية في لعلم الاسلامي ص ١٩٧ وما بعد وانظر الموجد في لاديين والماجد
المعاصرة ص ١٢٠ - ١٣١

الاسماعيلية صوبها ، طائفتها وظن ان لها اسمها من

مصدر * خد العبد شئ *

مساجدهم وصلاتهم

اليهمه يحدون لانفسهم اماكن خاصه لعبادة يستويها جامع حلقه
ويصون كف يصلي المسمون وكنهم يقدون ان صلاتهم للإمام لاسماعيل
المسخور من سن الطيب بن لاضر لهم كعبه الاوش

حجّتهم

وهم يذهبون الى مكة للحج ولكنهم يقولون ان الكعبة رمز على الإمام

كتيبهم :

ويضع البهرة كتبهم النونية موضع السرية والكتما ، ولم يطبع من كتبهم
إلا القلب مثل " صحيفه الصلاة " ولهم كتب مخطوطة تم مطبع مث كتاب دعائم
الاسلام و " الحقائق " وهذا الكتاب يعرض مذهبهم ويترجمان دعوائهم
ويذكران أقوالهم (١).

٣ - الإسماعيلية

وهي فرقة تبعث من الاسماعيلية مؤسسها " حسن علي شاه " المنقب
هو وبارد الذين خلفوه في رعاية الفرقة " عاين " وسميت بهذا الاسم بهذا
اللقب العام للفرقة

بشائرها

بشأت في إيران في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وقد
نبتت الانجيز ، وهم الذين خلعو على رعيهم لقب عاين

مواظبها

الاسماعيلية الإسماعيلية يسكنون الالب سروي ، ودار السلام ، ورجبار ودمشق
، والهد وبعضهم في سوريا ومركز القيادة الدنيمبي هو مدينه كراني

انظر لاسماعيل العاصره ص ١٢١ وما بعد كذلك انظر الموجز في الدين

والمداخلة المعاصرة ص ١٢١ - ١٢٢

باسم عينية اصولها و عقائدها وطوائف المعاصرو
د. محمود أحمد المياشي (٤٦)

عقيدتها

اسس عقيدتهم هو القول بألوهية رعيمهم " اعتكشان " ويقدمونه
ويصفونه بصفت الالوهية ويدفعون له خمس ميكسيون
وقد عرف للنس ،عالم منجنا سكيراً مقصراً مذهب في مواضع الفساد
والخب ، حتى عرف ذلك أتباعه ولكن يقولون إن كل ما يفعله فهو لشيء في علم
الله (١)

انظر الموجز في الايمان والمذاهب المعاصرة ص ١٢٢ وما بعدها كذلك انظر
الاسماء عينية المعاصرة ص ١٣١ وما بعدها

لإسمع عبيده لصوته وعقائده وطوائفها المعاصرة .^١ - معنوح أحمد العشقي (٢٠٠٠)

لا بد من الاعتراف بأن الحركات الباطنية ليست سوى مجموعة من المدارس الفلسفية الفكرية قائمه بذاتها تزخر بالحجوى الفكرية للمقابلة ، وبالعقلية الخلاقة المبدعة التى استغيطت العلوم والقرعت الأفكار للتأويل والتشريك ، وابتكرت الممن والقوانين وأوجدت النظم والأحكام .^٢

ومن خلال هذه العرض السريع نجد أن الباطنية قد شربت وترتوت من موارد هذه التيارات والمذاهب الفكرية ، من أن الفكر الفلسفي يعتبر أقوى تلك المؤثرات ، إن أحد دعاة فرقة الإسماعيلية في هذا العصر يسجدونه ، ويرفعون من شأنه ، من يقترون به ، وعلى هذا فإن العلاقة لا تعدو كونها علاقة تلتر ومن مصادر الفكر الباطني صوما والإسماعيلية على وجه الخصوص ، هسى مصادر بعيدة عن التبعد عن الإسلام عقيدة وشريعة ، فهي بحيلة عليه لرائت من ذلك إشغال جدوره وبأهى الله ، لا أن يتم بوره ولو كره للكافرون .^(٣)

(١) الحركات الباطنية فى الإسلام مصطفى شالب من ٢٠٠٠

(٢) نظار الإسماعيلية المعاصرة ، أحمد الجوير من ٢٠٠٠

٤ - القاب الباطنية

الإسماعيلية الصومبي وعقاده وعثر فيها المعاصر ٥ ممدوح حمد العبداني (٢)

اطلق على هذه الطائفة اسماء كثيرة سموه على اساس ، بعضها
ويقولونه وبعضها لا يقولونه وذكر الاسم ابو حامد العراقي ان بهم عشرين
القبائل

الباظية والقرامطة والقرمطيه والخرمية والحرميينية ،
والإسماعيلية ، والسعية ، والبيعية ، والمحمرة ، والعميمية هرث هرقين ،
ولم يذكر ابو حامد لهم آتاق سوى لأتاق المذكورة وذكر غيره أن من ألقابهم
الملاحدة (١) .

قال أبو حامد : ولكن لقب سبب

لأن الباطنية قائم لقبوا به ساعوهم أن لظواهر للقرآن و لاخبار بواطن
تجري في الظاهر مجرى السب من الغش ، وأنه بصورهم توهم عند الجهال
الاعقب صوراً جنية ، وهي عند انقطاع الأذنياء نور وإشارات إلى حقائق خفية ،
ومن من بعد خلقه من العوض على الخطأ و الأسرار ، والبواطن والاضوار ،
ولقد بظواهره مسارعاً إلى الاغترار كان تحت لأصغر (٢) والأعلال ، وأرادوه
بالأعلال التكنيفت الثمريه - قالو برعمهم - ان من ارتقى إلى علم الباطن
اتجمل به التكنيف ، واستراح من أهله ، برعمهم ،

وهم المرادون بقوله ساعوهم ، ويضع عنهم أصرارهم والأعلال التي كانت
عليهم (١) الأعراف : ١٥٧

قال وربما كانوا بالمشهاد عليه بقولهم ان الجهال المبكرين للباطن

(١) محمد بن محمد بن محمد العراقي للصومبي - أبو حامد - يدع في علوم كثيرة - ومنه
مصنفات مستثيرة في علوم متعددة ، منها : فضاء علوم الدين (وإنها في الفلاسفة)
وغيره - ربح إلى تسمي ويب المقدس وأقبل على العبادة وأرهه ولي حر حيله مال إلى
سماع الحديث والتحقق للصحيحين ، توفي سنة ٥٠٥ هـ .

تظهر : لأعلام الفكر في ٧/٢٢ ، للبدلية والنهاية ١٨٧/١٢

(٢) تظهر بكر مذهب القرى لأثنى ومبشرين للمشيخ عبد الله اليكفي ، ص ٩

(٣) يظهر بالأصغر الأتقال والأوزار

هم الذين أريدوا بقوله تعالى ((تصرب بهم يسور به باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)) "الحديد : ١٣" .

قال وشرصهم الأقصى يبطال الشرائع ، فبأنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على التحكم بدعوى الباطل على حسب ما يوجب الإصلاح عن قواعدهم الدين ، أو تسقط للبهية بموجب الألفاظ الصريحة ، فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه ، ولا يعود عليه .

قال الشيخ عبدالله بن أسعد الياقني (١) هذه الآية التي استشهدوا بها الأنساب أن يكونوا هم من أهل العذاب المذكور فيها ، لا من أهل الرحمة ، لأن في الآية المذكورة .

وشرصكم الأماني حتى جاء أمر الله وغرهم بالله الغرور (الحديد ١٤) وهم الذين شررتهم الأماني حتى جاء أمر الله بسقطاتهم التكليف . وإبطالهم ظواهرها ، وتركهم لأوامر والنواهي ، ورتعهم أنهم قد يسحقوا إلى حاله سقطت عنهم للتكاليف ، وكل هذه المذكورات من جعل لأمتي والغرور ،

(١) هو عبدالله بن أسعد بن علي بن مسير بن فلاح الليثي البجلي ، ثم البجلي ولد قبل المبعث بـ ١٠ سنة أو ثلثي ي ولد سنة ٦٩٨ أو ٦٩٧ هـ مؤرخ بأحد منصوب ، من شافعية اليمن سببه إلى بلخ من حمير ومولده وشافعي علي حج سنة ٧١٢ هـ وعاد إلى اليمن ثم رجع إلى مكة سنة ٧١٨ هـ فأقام ونوشها بها من كبة مرارة الجنى وعمر البطلان في سريرة حوادث الزمن ، وهو يقع في جريمة مجتهد وسه كتب "وصف الأديان في مناقب الصالحين وحسب" الإزهد والنظري الذي ذكر فيه حكمة مسوية للشيخ عمر الدين بن عبد السلام في رسائل وفتاوى في دم ابن عربي الصوفي من ٧٨ توفي الياقني رحمه الله في العشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان ومئتين وسبعمائة بمكة المكرمة

نظر ترجمته في شذرات الذهب ٦ : ٢ ص ٢١٢ المعلقة بسببي ٢/٩ البدر للطابع ٢٥٥١ الأكلام ٧٢/٤ التصوف الإسلامي في الأدب والاحتكاك د. نكي ميرزا ١٨٣/٦ معجم المؤلفين ٣٤/٦ .

فالعذاب المذكور في الآية بهم ألحق وأنسب ، هذا إذا اقتصرنا في الاستدلال على مجرد مفهوم الآية ، وإلا فمعنا قواطع الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة على كونهم مبطلين ، بل من الدين مارقين ، وأن العذاب إنما يستحقه من نحا مذهبهم في جحد الشرائع ، والتلاعب بالدين ^(١) .

وأما القرامطة : فإما لقبوا بها نسبة إلى رجل يقال له حمدان ^(٢) قرمط ، كان أحد دعائهم في الإبتداء ، فاستجاب له في دعوته رجال فسموا : قرامطة ، وقرمطية .

وأما الخرمية : فهو بالخاء المعجمة مضمومة ، والدال مفتوحة ، وفي آخره ياء النسبة .

ويقال لهم : الخرمينية على ما ذكر من الضغط مع إسكان الميم ، ومسر الدال المهملة ويسكنان الياء المثناة في تحت .

قال الإمام أبو حامد : لقبوا بها نسبة لهم إلى حاصل مذهبهم وزيدته ، فإنه راجع إلى طي بساط التكليف ، وحط أعباء الشرع عن المتعبدين ، وتسلط الناس على اتباع اللذات ، وطلب الشهوات ، وقضا الوطر من المباحات

(١) انظر ذكر مذاهب الفرق الأثنيتين وسبعين ص ٩٢

(٢) هو حمدان بن الأشعث - ولقب بقرمط لقصر شديد في قاسته ورجليه ، فكان يقرمط في مشيته إذ كان خطوه قصيرا ، جاء من بلدة خوزستان (الأموال) وهي بين فارس والبيصرة وقدم إلى الكوفة ، وتظاهر بالزهد والورع والتقشف - ثم دعى إلى إمام من أهل البيت - حتى اجتمع حوله جمع كبير ، ثم دعى أهل قرية النهريين - التي كان يقيم فيها - إلى اعتناق مذهبه ، فأجابوه

انظر : تلبيس إبليس ص ١٢٣ - ١٢٥ ، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص ١٥٧ .
الحركات الطائفية في العالم الإسلامي د/ الخطيب ص ١٣٥ وما بعدها ، القرامطة محمود شاكر ص ٩ - ١٢ .

والمحرمات^(١).

وقد كان هذا لقباً للمزدكية ، وهم أهل الإباحة من المجوس ، الذين نبغوا في أيام [قباد]^(٢) ولبحوا للنساء وإن كن من المحارم ، وأحلوا كل محظور في الشريعة فكانوا يسمون " خرمدينية " فهو لام أيضاً لقبوا بها لمشابهتهم إياهم في آخر المذهب ، وإن خالفوهم في المقدمات ، وسوابق الحيل والإستدراج .

وأما " البابكية " : فاسم طائفة منهم بايعوا رجلاً يقال له : بابك الخرمي^(٣) قال أبو حماد : وكان خروجه في بعض الجبال بلخية أذربيجان ، في أيام المعتصم بالله تعالى ، فاستفحل أمرهم ، واشتدت شوكتهم ، وقتلهم القشون^(٤) ، صاحب حرم المعتصم ، مدهاناً له في قتاله ، ومتخاذلاً عن الجد في

(١) انظر الفرق بين الفرق للشهرستاني ص ٢٢٢

(٢) هو قباد بن سروز ، والد أنوشروان العادل ، وقد ظهر في زمنه (مزدك بن ماهدان) مؤسس (المزدكية) وقد دعى (مزدك) النبوة وأظهر الإباحية ، وانتهى أمره إلى أن ألزم (قباد) إلى أن يبعث امرأة ليمتع بها غيره ، فتأذى (أنوشروان) من ذلك الكلام غاية التأذي الأمر الذي جعله يقتل ماله وأتباعه .

انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ١٢١ .

(٣) بابك الخرمي فارسي مجوسي الأصل ، دخل في الإسلام وتسمى الحسن ، وقيل للحسين كان يطمع في استرجاع ملك فارس ودينها فخارب المسلمين لأجل هذا الغرض حتى قتل سنة ٢٢٣ هـ . انظر في شجرة الفرق بين الفرق ٢٦٦ ، ٢٦٩ للمعبر في خبر من خبر ٣٠٤/١ ، تلبس بلبس ص ١٢٢ ، ١٣٣ ، وقد عدهم . أي البابكية . فخر الدين محمد بن عمر الرازي في قتالية اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، من الذين ينظرون بالإسلام وإن لم يكونوا مسلمين .

انظر الاعتقادات ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٤) القشون : خبزر بن كاوس ، فارسي الأصل جعله المعتصم في خدمته ثم أدخل إليه مقاتلة بابك الخرمي . اختلف المؤرخون في أمره فذكر بعضهم أنه قتل على المعتصم فقتله ، انظر : الفرق بين الفرق ٦٧ .

فمنه ، إضماراً لموافقته في ضلاله ، فاشتدت وطأة "البابكية" على جيوش المسلمين ، حتى فرقوا جند المسلمين ، وبدوا لهم منهزمين ، إلى أن خبت ريح النصر ، واستولى عليهم المعتصم ، المترشح للإمامة في ذلك العصر ، فصلب بابك ، وصلب ألفين بزاره .

وقال (١) : وقد بقي من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة في كل سنة يجتمع رجالهم ونسائهم ، ويطلقون سراحهم ، ثم يتنابون النساء ، فيثب كل رجل إلى امرأة يظفر بها ، ويزعمون أن من احتوى على امرأة بالإصطبل استحلها ، فإن لصيد من أطيب المباحات (٢) .

قال : ويدعون مع هذه للبدعة نبوة رجل كان من ملوكهم قبل الإسلام ، يقال له : شروين (٣)

وأما "الإسماعيلية" : فمنبتهم إلى إسماعيل بن جعفر رضي الله عنهما زعموا أنه إمامهم ، وأن دور الإمامة انتهى إليه ، إذ كان هو المسايح من محمد . صلى الله عليه وسلم . وأدوار الإمامة عندهم سبعة ، وأكبرهم يشنون له منصب النبوة ، وأن ذلك يستمر في أعقابهم ونسبه (٤)

(١) أن الخزازي في : فضائح الباطنية ص ١٥ .

(٢) تخصيص ليلة قسق في السنة ثبتت مقصورة على "البابكية" فقط بل هي عامة للباطنية ، ذكر هذا كل من صنف عنهم أنظر : بيان مذاهب الباطنية ويطالعه للدليمي ص ٨٧ قال : " الوجه الخامس عشر مما يدل على كفرهم ما ثبت بالتواتر أيضا كفرهم في ليلة الإفاضة التي لا تكرر ... يجتمع فيها الرجال والنساء ويقضى بعضهم إلى بعض بعد إطفاء السراج فيقع على الأم الإين ، والأخ على الأخت وكيف اتفق "

ونظر أيضا : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة - محمد بن مالك الحمادي اليماني ص

(٣) فضائح الباطنية : ص ١١ - ١٦ .

(٤) بنظر فضائح الباطنية ص ١٩ .

وقال^(١) : وقد أورد أهل المعرفة بالنسب في كتاب "الشجرة" أنه مات ولا عقب له .

وأما "السبعة" : فإتباعهم إنما لقبوا بها لأمرين : أحدهما : لاعتقادهم أن أنوار الإمامة سبعة ، وأن الإنتهاء إلى السابع هو آخر النور ، وهو المراد بالقيامة ، وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر لها قط . ولثاني : لقولهم إن تدابير العالم السفلي ، وهو ما يحويه مقر تلك القمر منوطة بالكواكب السبعة التي أعلاها زحل ، ثم المشتري ، ثم المريخ ، ثم الشمس ، ثم الزهرة ، ثم عطارد ، ثم القمر .

وقال أبو حامد : وهذا المذهب مسترق من ملحدة للمتجمين وملتفت هذا إلى مذاهب الثنوية في أن للنور يدير أجزاءه المتمزجة بالظلمة بهذه الكواكب السبعة ، لهذا سبب تسمية هذا النقب .

وأما "المضرة" : فقيل إنهم لقبوا بذلك لأنهم صبغوا للثياب بالحمرة أيام "بابك" ونسوها ، وكان ذلك شعارهم .

وقيل سببه : أنهم يقررون أن كل من يخلقهم من الشرقي ، وأهل الحقي : حمير . وكان ذلك شعارهم .

وقال أبو حامد : والأصح فتأويل الأول :

وأما "التعليمية" فإتباعها لقبوا بها لأن مذاهبهم مبناها بإبطال الرأي ، وإفساد تصرف العقل ، ودعوة للخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم ، وأنه لا مدرك لتعليم إلا التعليم .

ويقولون في مبدأ مجادلتهم لأهل الحق : العلم إما أن يعرف بالرأي ، وإما أن يعرف بالتعليم ، وقد بطل التعويل على الرأي لتعارض الآراء ، وتقابل الأهواء ، واختلاف ثمرات نظر العقلاء ، فينبغي الرجوع إلى التعليم والتعلم . قال

(١) أي للغزالي في كتابه : فضائح الباطنية ١٦ .